# المفهوم الإسلامي للوطن والمواطنة وشهادة الشعر عليه

أ.د.خالد ناجي السامرائي

للوطن في الإسلام مفهوم خاص، يتباين بقدر أو بآخر مع المفاهيم الأيديولوجية الوضعية على اختلاف توجهاتها ومنطلقاتِها.

إنَّ اهم ما يميز المفهوم الإسلامي للوطن هو عالميته وانفساحه مما يجعل لمفهومه الخاص مقتربات فكرية وفلسفية مع المفاهيم العامة للعولمة، إذا ما جُردت من شحناتها السياسية وأغراضها الاقتصادية .

إنَّ العولمة التي تدعو إلى ان يكون العالم بأسره قرية صغيرة، لم تأتِ بجديد، فهذا الشعار على ما فيه من بريق ودعوة للانفتاح والتآلف بين الأمم والشعوب، لم يتخلص من الدوافع السياسية القائمة على الاستغلال والهيمنة والاستحواذ .

إنَّ العالمية التي ينماز بها المفهوم الإسلامي للوطن تتسم بأبعادها الشمولية، الجغرافية منها والسياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية، انه مفهوم ينفتح على كل مناحي الحياة ويحتضن كل ما يهم الإنسان.

وعولمة الوطن على وفق المفهوم الإسلامي تتباين تبايناً واضحاً عن المفهوم السياسي المطروح لها على مستوى الساحة الدولية الآن، ويمكن أجمالها بدوائر ثلاث على حسب سعتها وشموليتها هي <u>الدائرة الأولى: الدائرة الجغرافية :</u>

إنَّ القوانين الجديدة الخاصة بالهجرة التي بدأ الغرب بسنّها واعتمادها تعبّر عن نظرة العولمة وتوجهاتها في إحكام الحصار على مواطني الدول النامية، ولا تسوغ ذلك دعاوى أحقية الدول الغربية في الحفاظ على بنيتها السكانية وفسح المجال أمام مواطنيها وإعطاء الأفضلية لهم على حساب المهاجرين إليها من الدول النامية وخصوصًا الدول الإسلامية، فالدول الغربية بفرضها قوانين الهجرة المتشددة على الشباب المسلم الّذي يحلم بعيشٍ كريمٍ رغيد، لا يجده في بلاده، تقتل آماله وتخيب ظنه وتدفعه الى مزيد من الإحباط وتذكي في نفسه الحقد على الغرب وتؤجج الصراع الحضاري الّذي بدأ يأخذ شكلًا عنفيًا ومتطرفًا .

إنَّ هذه القوانين المجحفة الَّتي يهدف الغرب من خلالِ سنِّها الحفاظ على بنيته الديموغرافية والثقافية تعدُّ مسوِّغًا مقبولا لو أنَّ الغرب كان عاملاً مساعداً لنهوض هذه الدول أو حتى حيادياً إزاءها، فلولا سنين الاستعمار الطويلة التي تحكم بها الغرب برقاب الدول النامية، ولولا هذه الهيمنة الاقتصادية التي يشهدها العالم اليوم، لما كانت الدول النامية على ماهي عليه اليوم من فقر وتخلف ومديونية، مع ان ذلك لا يعفي بالضرورة حكومات هذه الدول من مسؤولياتها، في إيجاد السبل الكفيلة بتطوير بلدانها، وبناء بنيتها التحتية وتحسين ظروف المعيشة لمواطنيها.

إنَّ الغرب الذي يمصّ دماء الشعوب النامية يسدّ اليوم أبوابه أمام هجرة أبنائها في الوقت ذاته الذي يسمح بتنقل رعايا دول الاتحاد الأوربي دون تأشيرة وبلا أدنى معوقات، ومن هنا تتضح النظرة العنصرية للغرب وتتجلى المقاصد الاستعلائية في التصنيف الغربي للعالم، عالم أول يضم الدول الأكثر رفاهية، ثم العالم الثاني الذي بدأ يندمج في ثنايا العالم الأول، بعد سحب البساط من تحت أقدام روسيا، ثم العالم الثالث المُستضعف والمُستعمر والذي يُراد منه ان يبقى هكذا وإن بطرق متباينة شكلاً عن طرق استعماره السابقة .

إنَّ « الهجرة اليوم أصبحت خاضعة إلى نوع من تحكم الأقوياء، الذين ضيّقوا أرض الله الواسعة، بما شرّعوا من قوانين الهجرة والإقامة، جعلت لهم إمكانية السيطرة، والقدرة على امتصاص الأدمغة وإغرائها بالهجرة، ليقيموا حضارتهم على إنتاجها، ويمارسون في الوقت نفسه إقامة أنظمة الاستبداد السياسي، التي تساهم بالطرد لكل خبرة وإمكانية واختصاص، إلى مواقع الجذب للإفادة من ذلك كله.. حيث افتتن الكثير من أبناء المسلمين بذلك، وذابوا فيه دون أن يدركوا أن الذي يمنحهم هذه الحرية هو الذي يمنعهم، ويساند الاستبداد، ويطارد الحرية في بلادهم، لينتهوا إليه. لذلك نقول : إن الذي يحاول أن يضع بعض الأحكام والفتاوى الشرعية لقضية الهجرة، لابد أن يكون على دراية بالمسألة من جميع وجوهها، وحسن تقدير لمعرفة تداعياتها المستقبلية على أكثر من مستوى، وأن ما يصلح من الأحكام لعصر أو مكان، قد لا يصلح لعصر أو مكان آخر.. وإطلاق الأحكام بعيدًا عن أرض الميدان وعدم استيعاب الصورة، يحمل الكثير من المضاعفات، فقد تقتضي الظروف التشبث بالأرض،

وعدم الهجرة وإخلاء البلاد لامتداد أعداء الله وتمكينهم من مقادير الأمور، حتى في حالات الاستضعاف، لأن ذلك قد يشكل فراغًا أو تفريغًا لصالح (الآخر).. وقد تصبح الهجرة واجبة ومفروضة في حالات الانسداد الاجتماعي والثقافي»( [1] )

وبالطبع فثمة فارق ما بين الهجرة الطوعية والهجرة القسرية، فطالما كان التضييق على المسلمين والتعسف المسلط عليهم، سببا أساسا في هجرتهم القسرية من البلاد المحكومة من جهات تحمل أيديولوجيات معادية للديانات بعامة، وللإسلام على وجه الخصوص، مثلما حصل في التسعينات من القرن الفائت مع مسلمي الشيشان، أو جهات تتبنى الفكر الصليبي، أثرت الصراع الحضاري مع الإسلام، ومثاله المجازر التي أرتكبها الصرب بحق مسلمي البوسنة والهرسك و ما يحصل اليوم من قتل وترويع يندى لهما جبين الإنسانية لمسلمي ميانمار.

وعلى الرغم من الألم الذي تسببه الهجرة القسرية للمسلمين المروعين، ربما تعود بالفائدة للإسلام، فقد « يجد المسلم في البلاد غير الإسلامية فسحة لممارسة عقيدته ودعوته، وتقديم نماذج حضارية وإنسانية تثير الاقتداء، فلكل حالة حكمها، ولكل هجرة دواعيها وأسبابها، فالأرض كلها لله، وواجب الدعوة وإيصال الإسلام وإظهاره، مهمة كل مسلم، بحسب استطاعته.. والوجود الإسلامي وإظهار الدين، أصبح - جغرافيًا وثقافيًا وإعلاميًا، على المستوى العالمي- أمرًا قائمًا ومستقرًا ومستمرًا، وقد تتمتع الأقلية السكانية المسلمة في البلاد غير الإسلامية، في ممارسة عبادتها وحريتها، أكثر بكثير مما تتمتع به في بعض البلاد الإسلامية، ولا من التوقف عند مصطلح دار الحرب ودار الإسلام، وبعض الأحكام الفقهية الجاهزة للتطبيق في المواقع المتعددة والحالات المختلفة ... فرسالة الإسلام رسالة عالمية، يمكن أن نصفها بأنها خطاب الإنسان حيثما كان، وأن جغرافية الرسالة هي أرض الله الواسعة وأزمنته الممتدة إلى يوم القيامة، ومحل خطابها الإنسان المخلوق، وأنها من حق كل إنسان وليست وقفًا على أحد، وأن الإنسان بمجرد اعتناق الإسلام يتمتع بحقوق المسلم العضو في أمة الإسلام، ويكتسب صفة الأخوة، وتترتب عليه حقوقها »( [2] ).

---

[1] ينظر: من فقه الأقليات المسلمة (كتاب الأمة) / خالد محمد عبدالقادر / العدد61، ص29 .

[2] ينظر: من فقه الأقليات المسلمة (كتاب الأمة) / خالد محمد عبدالقادر / العدد61، ص30- 31 .

على العكسِ من ذلك نجدُ أنَّ مفهوم المواطنة في الكيان الصهيوني وكيان جنوب أفريقيا العنصري السابق يتعاملُ مع المواطن بمعايير عرقية تثلمُ إنسانيَّة الفرد، فالمواطنُ ليس من يعيش في المستوطنات بل هو صاحب الحقوق المطلقة الَّتي تستقي شرعيتها من دين اليهودي في الدولة الصهيونية ومن عرق جنوب أفريقيا، ويتَّضح هذا جليًّا في قانون العودة الصهيوني الَّذي لا يمنح حق العودة إلا لليهود، تمامًا مثلما ينصُّ قانونُ الهجرة في جنوب أفريقيا فهو يمنع الهجرةَ عن غير البيض، وهذا يعني أنَّ التمييز العنصري في المستوطنات لا يعدُّ خرقًا للقانون وإنَّما هو من صميم القانون نفسه، فتوصيفُ (يهودي) و (أبيض) هما مصطلحان قانونيان يترتب عليهما حقوق قانونية ومزايا سياسية واقتصادية تتكرها على غير اليهود في إسرائيل، ومن هو غير أبيض في جنوبِ أفريقيا – سابقًا- .

بينما نجد في الجانب الآخر ان الإسلام تبنى موقفاً آخر من هذه الدائرة، فما كان للجغرافية شأن كبير في تحديد مفهوم الوطن وأبعاده، فالمواطن على حسب المفهوم الإسلامي ينتمي إلى حيث يُعبر الناس عن معتقداتهم وحيث ترجع الأمور إلى اللّٰه لا إلى الناس وإلى أهواءهم .

ومن ذلك أمر النَّبيِّ (صلَّى اللّٰه عليه وسلَّم) لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة يوم آذتهم قريش وضيقت عليهم وخيف على دينهم من الفتنة. « عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أم سلمة رضي اللّٰه عنها زوج النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - أنَّها قالت : ( لمَّا ضاقت علينا مكة، وأوذي أصحاب رسول اللّٰه - صلى اللّٰه عليه وسلم - ، وفُتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأنَّ رسولَ اللّٰهِ (صلى اللّٰه عليه وسلم) لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول اللّٰه في مَنَعة من قومه وعمِّه، لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه، فقال لهم رسول اللّٰه (صلى اللّٰه عليه وسلم) :

« إنَّ بأرضِ الحبشةِ مَلِكاً لا يُظلمُ أحدٌ عنده، فالحقُوا ببلادِه حتّى يجعل اللّٰهُ لكم فرجاً ومخرجاً مّما أنتُم فيهِ » فخرجنا إليها أرسالاً حتى اجتمعنا ونزلنا بخير دار إلى خير جار، أمنَّا على ديننا، ولم نخشى منه ظلماً...»( [1] )، وهكذا تحولت الحبشة النائية البعيدة والغريبة عنهم إلى وطن أشد التصاقاً بهم من وطنهم مكة، لأن في الأولى تكمن حريتهم ومجالهم الأرحب في التعبير عن معتقدهم .

[1] أخرجه البيهقي في " السنن الكبرى " من طريق ابن إسحاق/ ج9، ص9 .

وليس أدلّ على هذا المنحى الإسلامي في مفهوم الوطن من هجرة الرسول (صلَّى اللّه عليه وسلَّم) وأصحابه إلى المدينة المنورة، إذ بمجرد الهجرة وإقرار نظام المؤاخاة تحولت المدينة إلى وطن يضم كل المسلمين، لا لشيء، إلَّا لأنَّ الوطن الأصلي – مكة – ضاقت بالمسلمين بما رحُبت وأصبحت مصدر خطر على مقدراتهم وعقيدتهم وحريتهم .

أنبرى الرسول صلى اللّه عليه وسلم بوضع « أولى الدعائم لبرنامجه الإصلاحي، والتنظيمي للأمة وللدولة والحكم، وهي الاستمرار في الدعوة إلى التوحيد والمنهج القرآني، وبناء المسجد، وتقرير المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وهي خطوة لا تقل أهمية عن الخطوة الأولى في بناء المسجد لكي يتلاحم المجتمع المسلم ويتآلف»( [1] )

وكان من جملة ما اتخذه من إجراءات على مستوى الأعداد النفسي والذهني لاتباعه « المؤاخاة بين الوافدين الذين سماهم (المهاجرين) واليثاربة الذين سماهم (الأنصار) تطبيقا لخطته الَّتي اخذ ينفذها بدأب وإحكام شديدين في قطع صلة اتباعه بالفترة السابقة ورميها في مربع النسيان وصبغ معتنقي دعوته بـ (الصبغة الإسلامية) بما في ذلك أسماء بعضهم أو كثير منهم والأماكن الَّتي كانوا يعيشون فيها أو يمرون بها ولم يكتف بتغيير اسم اليثاربة (الأوس والخزرج) إلى (الأنصار) بل غيَّر اسم قريتهم من (يثرب) إلى (المدينة) »( [2])

وظلت المدينة شديدة الصلة بنفوس الرسول (صلى اللّه عليه وسلَّم) وأصحابه فلم يتحول عنها إلى مكة حتى بعد الفتح وبعد ان اعتنق جميع القرشيين الإسلام، فـــ « عن عبد اللّه بن رباح قال: قال أبو هريرة : ألا أعلمكم بحديث من حديثكم يا معشر الأنصار قال: قال رسول اللّه ( صلى اللّه عليه وسلم ): يا معشر الأنصار، قالوا : لبيك يا رسول اللّه، قال : قلتم أما الرجل فقد أدركته رغبة فى قرابته ورأفة بعشيرته، قالوا: قد قلنا ذاك يا رسول اللّه، قال : كلا إني عبد اللّه ورسوله هاجرت إليكم، المحيا محياكم والممات مماتكم،

---

[1] السيرة النبوية / د. علي محمد الصلابي / ص472، وينظر: الإدارة الإسلامية في عصر عمر بن الخطاب / د. فاروق مجدلاوي / ص53، 52 .

[2] العلاقة بين الرجل والمرأة في العهدين المحمدي والخليفي في مجتمع يثرب / خليل عبدالكريم / ص17.

فأقبلوا يبكون ويقولون : والله يا رسول الله ما قلنا الذى قلنا إلا الضن بالله ورسوله قال: فإن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم »([1]). ان نظام الهجرة يُعبر عن عالمية الإسلام بأرقى صورها ، وليس أدلّ على هذه العالمية من قول الله تعالى في محكم كتابه (( يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير ))([2]) فالتَّعارف لا يتمُّ إلَّا بالانفتاح والاحتكاك وتبادل المنافع ومجال التفوق والأفضلية لا يتمُّ على أسسٍ اقتصادية أو سياسية أو تحت تصنيف استعلائي كتصنيف العالم إلى عوالم ثلاثة كما اسلفنا وإنما يكون على أساس التقوى والعدالة والصلة الروحية بشرائع السماء، والله تعالى في هذه الآية بيّن للناس ان القرآن يدعو إلى أمةٍ إنسانية واحدة، وعالمٍ واحدٍ يسوده العدل والمحبة، واعلن هنا حقوقَ الإنسان بصرف النظرِ عن لونه وجنسه، فالناس إخوة في النسَب، كرامتُهم محفوظة، والإنسان مخلوق الله المختار، وهو خليفته في الأرض .

وفسر البعض عبارة (الناس) فقالوا : « يا أيها الناس . يا أيها المختلفون أجناساً وألواناً، المتفرقون شعوباً وقبائل، إنكم من أصل واحد، فلا تختلفوا ولا تتفرقوا ولا تتخاصموا ولا تذهبوا بدداً، يا أيها الناس، والذي يناديكم هذا النداء هو الذي خلقكم . . من ذكر وأنثى . . وهو يطلعكم على الغاية من جعلكم شعوباً وقبائل، إنها ليست التناحر والخصام، إنما هي التعارف والوئام، فأما اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطباع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات، فتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات، وليس للون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله، إنما هنالك ميزان واحد تتحدد به القيم، ويعرف به فضل الناس : { إن أكرمكم عند الله أتقاكم } . . والكريم حقاً هو الكريم عند الله، وهو يزنكم عن علم وعن خبرة بالقيم والموازين : { إن الله عليم خبير} »([3]).

[1] أخرجه ابن أبى شيبة / المصنف في الأحاديث والآثار/ ج6، ص401، رقم 32374، وينظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال / علي بن حسام الدين المتقي الهندي .

[2] سورة الحجرات، الاية 13.

[3] في ظلال القرآن / سيد قطب / ج7، ص47 .

بينما ذهب مفسر آخر إلى ان المراد من مخاطبة الخالق للناس هو تبيههم على أنَّه « عليم بالعباد، مطلع على ظواهرهم وبواطنهم، يعلم التقي والشقي، والصالح والطالح»([1])

التفاخر إذن بين الناس هو ليس بكثرة المال ولا بعديد القبيلة ولا بمنعة السادة ففي هذا الخطاب تتراجع التراتبية العرفية لصالح المساواة الإنسانية، ولهذا فان الأنسان الذي كرمه الله هو القيمة العليا التي يجب ان لا تمتهن ولا تستعبد ولذا تحولت الهجرة في الإسلام من رخصة يترك للفرد حرية التمتع بمزاياها أو الترك لها، إلى أمرٍ واجب لا يجوز التقاعس عنه وذلك حينما تكون جُنّةً من الزلل وخياراً أوحد للإنسان يحافظ من خلاله على عقيدته ويجنب نفسه الوقوع في المحظورات الدينية .

إنَّ الله الذي أمر عباده المؤمنين بالهجرة والابتعاد عن أذى قريش لا يغفر لمن تقاعس عن ذلك ودليل هذا، ما روي عن تبيان حال بعض المسلمين الذين لم يبرحوا مكة خوفاً من ساداتها أو حرصًا على أموالهم ففُتنوا في دينهم وخرجوا مع قريش لقتال المسلمين في بدر فكان جزاؤهم أن قتلتهم الملائكة، فأنزل الله فيهم قوله (( ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساء ت مصيرا ))([2])

« قال عكرمة : نزلت هذه الآية في شباب من قريش، كانوا تكلموا بالإسلام بمكة، منهم: علي بن أمية بن خَلَف، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو العاص بن منبه بن الحجاج، والحارث بن زَمْعة »([3]).

وقد قال ابن عباس في بيان سبب نزول هذه الآية : « كانوا قوما من المسلمين بمكة، فخرجوا في قوم من المشركين في قتال فقتلوا معهم، فنزلت هذه الآية. قوله تعالى: (ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله) قال ابن عباس في رواية عطاء: كان عبد الرحمن بن عوف يخبر أهل مكة بما ينزل فيهم من القرآن، فكتب الآية التي نزلت - إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم، فلما قرأها المسلمون قال

[1] صفوة التفاسير/ محمد علي الصابوني / ج3، ص246 .

[2] سورة النساء، الاية 97.

[3] تفسير ابن كثير / ج2، ص389 .

حبيب بن ضمرة الليثي لبنيه وكان شيخا كبيرا: احملوني فإني لست من المستضعفين وإني لا أهتدي إلى الطريق. فحمله بنوه على سرير متوجها إلى المدينة، فلما بلغ التنعيم أشرف على الموت، فصفق يمينه على شماله وقال: اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعتك يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومات حميدا، فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: لو وافى المدينة لكان أتمَّ أجرا، فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية »([1])

إنَّ تخصيص الله سبحانه وتعالى مقتلةً فارقةً للمفتونين فيه دلالة على شناعة فعلهم وتحذير شديد للمسلمين المقيمين في غير بلاد المسلمين من مناصرةِ الكفّار على المسلمين، فمصيرهم جهنم وساءت مصيرًا في حالِ قتلهم أحد المسلمين أو مقتلهم على يد أحد المسلمين.

الدائرة الثانية: دائرة حقوق الفرد وحريته الفكرية:

إنَّ العولمة التي سادت النظام الدولي بوصفها منظومة سياسية متكاملة تعاملت مع الاختلافات الإيديولوجية والاقتصادية والثقافية بين الشعوب والأنظمة بالكثير من القسرية، إذ أنَّها لم تنفتح لاحتضان تلك التباينات ولم تحاول ان تستنبط قاسماً مشتركاً بينها، فالعولمة أحادية الوسيلة مثلما هي أحادية الهدف، ومن هنا فان الحرية الفكرية التي تحملها هي حرية مزيفة لا تعطي للآخر فسحة من الاختلاف أو التعبير خارج أطرٍ مقفلة وحدود صارمة من الأنظمة والمفاهيم .

إنَّ الدول الغربية علمانية من جهة الدين ولكنها أصولية من جهة الفكر السياسي والاقتصادي وفي هذا التناقض يكمن النفاق السياسي للعولمة والنظام العالمي الجديد بل ان العلمانية التي يتشدق بها الغرب علمانية شكلية هي الأخرى ويمكن سوق العديد من الأدلة التي تعبر عن الصبغةالنصرانية – اليهودية للعولمة إزاء إسلام يراد له ان ينكفأ وينحسر، ولا بأس ان يُقضى عليه ان كان ذلك ممكناً وإلّا فما معنى رفع شعارات أفريقيا نصرانية عام 2025م اذا لم يكن الدين أحد أهداف العولمة التي يبشّر بها الغرب .

ليس من الصعب الاستنتاج بأنَّ المعارضة الشرسة التي تواجهها تركيا بخصوص انضمامها للاتحاد الأوربي يعود بالدرجة الأساس إلى الانتماء الإسلامي

[1] أسباب النزول / الواحدي / ص172.

التركي الذي لا ينسجم بالضرورة من حيث البنية الفكرية العامة مع الانتماء الثقافي الأوربي الذي يشكل الإرث النصراني فيه دعامة أساس .

ومثلما لم تسمح العولمة الغربية بالاختلاف الديني، لم تسمح بالاختلاف في النظم الاقتصادية أيضاً، فلا مجال لأي نظام اقتصادي يخالف نظام السوق الذي تبشر به العولمة، بل إنَّ الأنظمة التي تحاول ان تختلف مع توجهات السوق وأنظمته محكوم عليها بالحصار والمضايقة والعداء بل وحتى الحرب الاقتصادية، وسياسة صندوق النقد الدولي والبنك الدولي مثالٌ على حجم الهيمنة التي تمارسها الدول الكبرى وفي مقدمتها أمريكا، وحجم الابتزاز الذي يُراد به ان يوجه الشعوب وجهة أحادية دون الأخذ بنظر الاعتبار الظروف الاجتماعية والفوارق الثقافية والعقائدية لكل شعبٍ من الشعوب .

تقف في الجانب الآخر عالمية الإسلام وعدالة توجهاته، فهوَ وإن كان ذا مرجعية إلهية قد تسامح مع الأمم والشعوب الذي تعامل معها ، فظلَّ النصراني على دينه مثلما ظل اليهوديُّ على ما يعتقد دون إكراه أو إجبار، في حين نجد في القوانين والأنظمة السائدة في الكيان الصهيوني المدعوم من الغرب ازدواجية شائنة في معايير المواطنة، فنظرية الحقوق في هذا الكيان تعبِّر عن نفسها من خلال « البنية السياسية والاجتماعية والثقافية، فعلى المستوى السياسي ينشأ نظامان سياسيان واحد ديموقراطي حديث مقصور على المستوطنين، والآخر شمولي يحكم علاقة الجماعة الاستيطانية بأصحاب الأرض الأصليين، وبينما يُسمَح لأعضاء الكتلة الوافدة بالتنظيم السياسي والمهني، يُحرَّم هذا على السكان الأصليين، ويُلاحَظ أنه رغم أنَّ النظام الاستيطاني نظام غربي حديث إلا أنَّه يُشكل عنصراً أساسياً في محاولات إعاقة تحديث السكان الأصليين »([1])

بل ان المشرك لم يُجبر هو الآخر على دخول الإسلام على الرغم من انه لا يستند في عقيدته إلى مرجعية مقدسة كما قال تعالى (( وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر...... ))([2])

ان الحرية الذي يحملها نظام الذمة الإسلامي لا تقتصر على حرية العبادة بل تتعداها إلى أصول المعاملات ونظم البيع والشراء والعلاقات الاجتماعية والحفاظ على

[1] موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية / د. عبد الوهاب المسيري / مج7، ص49.

[2] سورة الكهف، الاية 29.

الهوية الثقافية والصبغة الحضارية مقابل جزية تعتبر ضريبة حماية وتسديد لنفقات الإدارة وإقامة الجيوش فضلاً عن نفقات الإعمار والبناء والتطوير الحضري للمدن والقصبات والأراضي التي شملها الفتح الإسلامي .

إنَّ الحرية الفردية التي تمثل الدعامة الأساس في الديمقراطية الغربية لم تكن غائبة عن المفاهيم الإسلامية، إذ لم يُغفل الإسلام أهمية إيجاد السبل الكفيلة للحفاظ على تلك الحرية في حال تعرضها لخطر التضييق والضغوط الخارجية، فكانت الهجرة مرة أخرى علاجاً ناجعاً وفعالاً في تصحيح مسار الحالات التي يتعرض فيها الإنسان لمثل تلك الضغوط، فالمسيء الراغب بالتوبة يجد ضالته في جملة إجراءات يقف في مقدمتها إجراء الهجرة إلى بلد آخر غير بلده الذي ارتكب فيه المعاصي ليبني له حياة جديدة بعيداً عن الألسنة التي تلوك سيرته وعن الأعين التي تخترق جلده وعن رفقة السوء ومحيط المعاصي الذي يُسهم في كبح جماح رغبته بالتوبة ويعمل على إبقائه في دائرة السوء التي لا فكاك منها، الهجرة في مثل هذه الحالة تُصبح ضرورة قصوى ليتنفس التائب هواءً آخر غير الهواء الذي سمّم أفكاره ودفعه إلى طريق الشيطان، ومن ذلك ما رُوي « عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه أنَّ نبيَّ اللّهِ (صلى اللّه عليه وسلم) قال : " كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا، فسألَ عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة ؟ فقال لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون اللّه تعالى فاعبد اللّه معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى اللّه تعالى، وقالت ملائمة العذاب : إنه لم يعمل خيرا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم أي حكما فقال : قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة » ( [1]).

إنَّ الهجرة سبيل يُراد به استبدال الأوطان بأوطان أخرى اذا ما كانت تلك الأوطان دار سوء ودار فتنة، بل إنَّ من يخرج مهاجراً في سبيل اللّه وتدركه الوفاة

[1] رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين / الأمام النووي / ص64 .

ينال الشهادة جزاءً لما نوى ولما عزم عليه . يتَّضح ذلك من خلال قوله تعالى (( ومن يهاجر في سبيل اللّٰه يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى اللّٰه ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على ألله وكان اللّٰه غفورا رحيما ))( [1])

إنَّ الوطن هنا يتجرد من دلالاته الجغرافية لحساب دلالاته الفكرية والعقيدية، مثلما ان الولاء يبدّل حلته الاجتماعية العرقية بحلة إسلامية جديدة قوامها الانتماء إلى الدين والمؤاخاة فيه، فيصبح الأباعد عِرقاً أولي رحم ان كانوا من المسلمين مثلما يصبح الأقارب وأولياء الدم أباعدَ ان ظلوا على شركهم، يقول اللّٰه سبحانه موضحاً الولاء على أسس الإسلام (( يا أيها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وأياكم أن تؤمنوا باللّٰه ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ))( [2])

« هذه السورة حلقة في سلسلة التربية الإيمانية والتنظيم الاجتماعي والدولة في المجتمع المدني، حلقة من تلك السلسلة الطويلة، أو من ذلك المنهج الإلهي المختار للجماعة المسلمة المختارة، التي ناط بها اللّٰه تحقيق منهجه الذي يريده للحياة الإنسانية، في صورة واقعية عملية، كما يستقر في الأرض نظاماً ذا معالم وحدود وشخصية مميزة، تبلغ إليه البشرية أحياناً، وتقصر عنه أحياناً، ولكنها تبقى معلقة دائماً بمحاولة بلوغه، وتبقى أمامها صورة واقعية منه، تحققت يوماً في هذه الأرض، وقد اقتضى هذا إعداداً طويلاً في خطوات ومراحل، وكانت الأحداث التي تقع في محيط هذه الجماعة، أو تتعلق بها، مادة من مواد هذا الإعداد، مادة مقدرة في علم اللّٰه، تقوم عليها مادة أخرى هي التفسير والتوضيح والتعقيب والتوجيه »( [3])

ولأجل القيام بتلك المهام الجسام، كان لا بد من تهيئة النفوس وتأليف القلوب، إذ لا يمكن النهوض بالدعوة الإسلامية بأدوات ملوثة لما تتخلص من

[1] سورة النساء، الاية 100.

[2] سورة الممتحنة، الاية 1.

[3] في ظلال القرآن / مج7، ص175.

شوائب الجاهلية ولما تتطهر مما علق فيها من أدرانها ، لم يكن الإسلام شهادة أن لا اله إلا اللّه وأنَّ محمدًا عبده ورسوله فحسب، بل كان إعلان الإسلام نقطة شروع لحياة أخرى لا تمت بصلة إلى حياة الجاهلية ، تمت عملية أعداد المسلمين وتهيئتهم لحمل الرسالة وتحقيق منهج الإله في الأرض في معترك ساخن تحيق به الأخطار وتتقاذفه الأمواج .

« لم تكن هناك عزلة إلا العزلة بالتصور الإيماني الجديد ، وعدم خلطه بأية رقع غريبة عنه في أثناء التكوين النفسي لهذه الجماعة، وكانت التربية المستمرة متجهة دائماً إلى إنشاء هذا التصور الإيماني الخاص المميز، المنعزل بحقيقته وطبيعته عن التصورات السائدة في العالم كله يومذاك، وفي الجزيرة العربية بصفة خاصة، أما الناس الذين يُنشأ هذا التصور المتميز في نفوسهم فلم يكونوا بمعزل عن واقع الحياة ومضطرب الأحداث، بل كانوا يصهرون في بوتقة الحوادث يوماً بعد يوم، ومرة بعد مرة، ويعاد صهرهم في الأمر الواحد والخلق الواحد مرات كثيرة، وتحت مؤثرات متنوعة، لأن اللّه الذي خلق هذه النفوس يعلم أنها ليست كلها مما يتأثر ويستجيب ويتكيف ويستقر على ما تكيف به منذ اللمسة الأولى، وكان يعلم أن رواسب الماضي، وجواذب الميول الطبيعية، والضعف البشري، وملامسات الواقع، وتحكم الإلف والعادة، كلها قد تكون معوقات قوية تغلب عوامل التربية والتوجيه مرة بعد مرة، وتحتاج في مقاومتها إلى التذكير المتكرر، والصهر المتوالي، فكانت الأحداث تتوالى كما هي منسوقة في قدر اللّه، وتتوالى الموعظة بها، والتحذير على ضوئها، والتوجيه بهديها، مرة بعد مرة »( [1] )

لم ييأس رسول اللّه من تليين قلوب أصحابه وتطويع نفوسهم، حتى وهو يصادف جفوة البعض وغلظة قلوب البعض وتعنت البعض، فأخذهم باللين وبالرفق، يحنو عليهم ويوجههم، يعينه على ذلك ويؤيده ألهامه الصادق وجبريل الأمين « حتى تصنع تلك الجماعة المختارة على عين اللّه، بتوفيق اللّه، على يدي رسول اللّه، عالم محوره الإيمان باللّه وحده، يشد المسلمين إلى هذا المحور وحده، بعروة واحدة لا انفصام لها، ويبرئ نفوسهم من كل عصبية أخرى، عصبية للقوم أو للجنس أو للأرض أو للعشيرة أو للقرابة، ليجعل في مكانها جميعاً عقدة واحدة، هي عقدة الإيمان باللّه، والوقوف تحت راية اللّه، في حزب اللّه .

[1] المصدر نفسه/ مج 7، 174 .

إن العالم الذي يريده الإسلام عالم رباني إنساني، رباني بمعنى أنه يستمد كل مقوماته من توجيه الله وحكمه، ويتجه إلى الله بكل شعوره وعمله، وإنساني بمعنى أنه يشمل الجنس الإنساني كله في رحاب العقيدة وتذوب فيه فواصل الجنس والوطن واللغة والنسب، وسائر ما يميز إنساناً عن إنسان، عدا عقيدة الإيمان، وهذا هو العالم الرفيع اللائق أن يعيش فيه الإنسان الكريم على الله، المتضمن كيانه نفحة من روح الله »([1])

لم تكن الحرية واحترام آدمية الفرد مقتصرة على الإنسان المسلم، بل أتسعت لرعايا الدولة كلهم، مسلمهم ونصرانيهم ويهوديهم بل وحتى كافرهم، إذ لم يكن الدين ليقف عائقا أمام الحرية الفردية أو الحقوق المدنية لمواطني الدولة فقد كان انفتاح الدولة العربية الإسلامية كبيرًا على الشعوب والأمم الَّتي عاشت في كنف الإسلام وتمتعت بكافة حقوقها وأُنصفت من قِبل الخلفاء والأمراء والقوَّاد، وقد زخرت كتب التاريخ العربي والإسلامي بحوادث كثيرة رسَّخت هذه الحقيقة من مثل الوفد الوثني التركي الَّذي قدم على الخليفة الأموي في دمشق من أواسط آسيا شاكيًا قائد الجيش الإسلامي الفاتح لبلاده، فحكمَ الخليفة لصالح الوفد.

« ولمَّا ضرب ابن لعمرو بن العاص أحد الأقباط وبلغ عمر شكواه، أراد أن يقتص للقبطي وخاطب عمرواً بعبارته المشهورة: " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا " كما حقق في شكوى أحد الجند ضد الوالي عمرو بن العاص لأنه رماه بالنفاق، وأدان القضاء الوالي وأصدر أمراً بجلده حد القذف لولا أن الجندي عفا عنه »([2])

لم تكن العقبات التي تقف في وجه المسلمين في مسعاهم لإقامة عالمهم ودولتهم يسيرة ولا هينة، بل كانت مزيجا من عوائق نفسية ومادية، فكان التيار المناهض للإسلام تيارا قويا صلبا، استنفر في معركته ضد الإسلام والمسلمين كل طاقاته المادية والعددية، ولان العديد والعدة كانا لصالح المشركين فقد اعتمد الإسلام سلاح العقيدة ليوازن الكفة، ولأن العقيدة لا بد لها من نية خالصة

[1] في ظلال القران/ مج7، ص174- 175.

[2] عصر الخلافة الراشدة - محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين / أكرم بن ضياء العمري / ص126.

لله كان لا بد من تطهير النفوس من عقبات تقف عائقا أمام عملية التطهير من مثل « التعصب للبيت، والتعصب للعشيرة، والتعصب للقوم، والتعصب للجنس، والتعصب للأرض، كما تقف عقبات من رغائب النفوس وأهواء القلوب، من الحرص والشح وحب الخير للذات، ومن الكبرياء الذاتية والالتواءات النفسية، وألوان غيرها كثير من ذوات الصدور، وكان على الإسلام أن يعالج هذا كله في الجماعة التي يعدها لتحقيق منهج الله في الأرض في صورة عملية واقعة، وكانت هذه الصورة حلقة في سلسلة هذا العلاج الطويل، وكان بعض المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم وأهليهم في سبيل عقيدتهم، ما تزال نفوسهم مشدودة إلى بعض من خلفوا هنالك من ذرية وأزواج وذوي قربى، وعلى الرغم من كل ما ذاقوا من العنت والأذى في قريش فقد ظلت بعض النفوس تود لو وقعت بينهم وبين أهل مكة المحاسنة والمودة، وأن لو انتهت هذه الخصومة القاسية التي تكلفهم قتال أهليهم وذوي قرابتهم، وتقطع ما بينهم وبينهم من صلات! »( [1] )

تعدُّ عملية المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار مثالا ناصعا على عملية التطهير النفسي التي أعتمدها الرسول عليه الصلاة والسلام، ومثلت تحديا حقيقيًا لقيم الإسلام الجديدة القائمة على أخوة الدين بديلا عن أخوة القبيلة، وقد شرعت المؤاخاة « لأجل ارتفاق بعضهم من بعض وليتألف قلوب بعضهم على بعض »( [2] )

لقد كان نظام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار إيذانًا بدولة المواطنة التي يتساوى فيها الجميع في حقوقهم وواجباتهم، وهو فضلا عن كونه نظامًا اجتماعيًّا كفلَ للدولة الفتيَّة سلمًا أهليًا، وانسجامًا اجتماعيًّا كان خطة شاملة للبنية الخدمية التحتية، لقد كان احتواءُ هذا العدد الكبير من المهاجرين إلى المدينة من دون توافر الظروف المعيشية الملائمة لهم مشكلة أخرى واجهتِ النبي (صلى الله عليه وسلم)، وتحدِّيًا حقيقيًّا لعملية بناء دولته الجديدة، وترصين دعائمها، لقد كانت يثرب تفتقر الى وسائل سكن واستقرار عائلي وفرص عمل للمهاجرين، وكان أن خلق نظام المؤاخاة فرص العملِ لأناس تركوا أعمالهم وافتقروا، بعد أن صادرت قريش أموالهم ومقدراتهم، ونجح نجاحا فوريًّا في تجاوز

[1] في ظلال القرآن / ج7، ص175.

[2] البداية والنهاية / أبن كثير / ج3، ص278.

مشكلة البطالة، وشحة الأموال، والاستقرار الاجتماعي، المتمثل بتزويج المهاجرين، وتأسيس أسر جديدة، كفيلة بتوفير الاستقرار للمهاجرين ليهيئوا من ثم للمهام الكبرى في نشر الدعوة والتصدي لمؤامرات قريش وكسر فكرة احتكار اليهود للسوق .

(وقد تحدث بعض العلماء عن وجود مؤاخاة كانت في مكة بين المهاجرين، فقد أشار البلاذري إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم ( آخى بين المسلمين في مكة قبل الهجرة على الحق والمواساة، فآخى بين حمزة وزيد بن حارثة، وبين أبي بكر وعمر، وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، وبين الزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود، وبين عبيدة بن الحارث وبلال الحبشي، وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص، وبين أبي عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة، وبين سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وطلحة بن عبيد الله، وبينه وبين علي بن أبي طالب )( [1] )

لقد أسهم نظام المؤاخاة في زيادة الوشائج بين أفراد الأمة، وبناء الصلة بينهم على أساس من الإخاء الخالص الذي تذوب فيه عصبية الجاهلية، وتتبذ الحمية لغير الإسلام، وتسقط فوارق النسب واللون والوطن، فلا يتأخر أحد أو يتقدم إلا بمروءته وتقواه .

( وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الأخوة عقداً نافذاً لا لفظاً فارغاً، وعملا يرتبط بالدماء والأموال، لا تحية تثرثر بها الألسنة، ولا يقوم لها أثر، وكانت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة وتملأ المجتمع الجديد بأروع الأمثال)( [2].)

وقد حفلت كتب السيرة بأسماء الصحابة المتآخين، ومنهم ( أبو بكر الصديق وخارجة بن زهير، عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك، أبو عبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ، عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، الزبير بن العوام

[1] ينظر: أنساب الأشراف للبلاذري / ج12، ص70.

[2] ينظر: فقه السيرة للغزالي / ص193، 194، وينظر: السيرة النبوية للصلابي/ ص475 .

**وسلامة بن سلامة بن وقش، طلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك، سعيد بن زيد وأبي بن كعب ) ( [1])**

**ومن الأحاديث الَّتي ذكرت المؤاخاة، ما رواه البخاري في صحيحه : « حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال : قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : لما قدمنا إلى المدينة، آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبين سعد بن الربيع، فقال سعد بن الربيع : إني أكثر الأنصار مالا، فأقسم لك نصف مالي، وانظر أي زوجتي هويت نزلت لك عنها، فإذا حلت، تزوجتها، قال، فقال عبد الرحمن : لا حاجة لي في ذلك، هل من سوق فيه تجارة؟ قال : سوق قينقاع، قال : فغدا إليه عبد الرحمن، فأتى بأقط وسمن، قال : ثم تابع الغدو فما لبث أن جاء عبد الرحمن عليه أثر صفرة، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : تزوجت ؟ قال : نعم : قال : ومن ؟ قال : امرأة من الأنصار، قال : كم سقت ؟ قال : زنة نواة من ذهب، أو نواة من ذهب، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أولِم ولو بشاة » [2]. هذا فضلًا عن أنَّ وثيقة المدينة نظَّمت العلاقة بين المسلمين فيما بينهم من جهة، وبين المسلمين وبين أهل الذمة من اليهود والنصارى من جهة أخرى، ومن المناسب أن نقتطف نصًّا من هذه الوثيقة يوضح كيف كفلت الدولة الإسلامية الحقوقَ المدنية لأهل الذمة وكيفية تعامل المسلمين معهم :**



**«... وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم نفسه وأَثِم فإنه لا يوتغ* إلا نفسه وأهل بيته، إن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني**

[1] ينظر: السيرة النبوية لأبن كثير/ج2، ص324، وينظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام / أبو القاسم السهيلي/ج4، ص177، وينظر: القول المبين في سيرة سيد المرسلين/ محمد الطيب النجار/ ص194، وينظر: جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم / ص96، وينظر: مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم / عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي/ ص201، وينظر: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل/ مجير الدين الحنبلي العليمي/ج1، ص192 .

[2] الجامع الصحيح المختصر/ البخاري / رقم الحديث (1943)، ج2، ص722 .

عوف، وإن ليهود بن جُشَم مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم، وإن لبني الشُّطَيبة مثل ما ليهود بني عوف، وإن البر دون الإثم، وإن موالي ثعلبة كأنفسهم، وإن بطانة يهود كأنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم، وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وإنه لا يأثم امرؤ بحليفه وإن النصر للمظلوم، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مردَّه إلى الله، وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الله على من أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب... »([1])

ومن الأحاديث الّتي تدل على حسن تعامل المسلمين مع أهل الذمة : ما رواه البخاري في صحيحه قال : « حدثنا آدم، حدثنا شعبة، حدثنا عمرو بن مرة، قال : سمعت عبد الرحمن ابن أبي ليلى قال : كان سهل بن حنيف وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية، فمروا عليهما بجنازة، فقاما، فقيل لهما : إنهما من أهل الأرض، أي من أهل الذمة، فقالا : إن النبي صلى الله عليه وسلم، مرت به جنازة، فقام، فقيل له : إنها جنازة يهودي، فقال : أليست نفسا ؟ »([2]).

ومن الأحاديث الأخرى: ما رواه البخاري في صحيحه في باب « يُقاتل عن أهل الذمة، ولا يسترقون » : «حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، عن حصين، عن عمرو بن ميمون، عن عمر رضي الله عنه، قال : وأوصيه بذمة الله، وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم، أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم »([3]).

وأخرج البخاري في باب « كيف الرد على أهل الذمة بالسلام » : « حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال : أخبرني عروة، أن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا : السام عليكم، ففهمتها، فقلت : عليكم السام واللعنة، فقال رسول الله صلى

---

[1] مجموعة الوثائق السياسية / محمد حميد الله / ص41- 47، يوتغ: يهلك .

[2] صحيح البخاري / الحديث رقم (1250)، ج441/1.

[3] المصدر نفسه / الحديث رقم (2887)، 1110/3.

الله عليه وسلم : مهلا ياعائشة، فإن الله يحب الرفق في الأمر كله، فقلت : يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقد قلت وعليكم »([1]).

ومع هذا الرفق بأهل الذمة وتوفير الحقوق المدنية لهم، فإنهم كذلك مشمولون بالعقوبات الّتي تقع على المسلمين إذا استحقوها، لأنهم خاضعون لسلطان دولة الإسلام، فلا بد من معاقبة من يستحق العقوبة منهم، لضمان أمن الدولة والمجتمع، روى البخاري في صحيحه : «حدثنا إسماعيل بن عبد الله، حدثني مالك، عن نافع، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه قال : إن اليهود جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكروا له، أن رجلا منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تجدون في التوراة في شأن الرجم، فقالوا : نفضحهم ويجلدون، قال عبد الله بن سلام : كذبتم إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة، فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك، فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم، قالوا : صدق يا محمد، فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما، فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة »([2])

هكذا تتضح المفاهيم الإسلامية للوطن وتتجلى العدالة بأرقى الصور، لا لشيء إلّا لأنَّ هذه العدالة لا ثمن لها سوى كرامة الإنسان والحفاظ على آدميته وما حباه الله من الإعزاز والتفضيل على سائر مخلوقاته، وحينذاك تتجرد المفاهيم من أغراضها المادية وتسمو بالإنسان إلى مراتب عليا تفوق كل المراتب التي وعدتنا مواثيق حقوق الإنسان بها .

## الدائرة الثالثة: المفهوم السياسي للوطن ومرجعيته العقائدية:

إنَّ الوطن على وفق الإسلام هو الأرض الواسعة التي هي ملك لله يقلّب أحوالها كيفما أراد ويغيّر شؤونها أنّى شاء، إنَّ مرجعية الأرض هي لله وليس لحكومات أو أنظمة سياسية وضعية ذات توجه دنيوي. يقول الله تعالى (( ولله ما في السماوات وما في الأرض والى الله ترجع الأمور ))([3]).

---

[1] صحيح البخاري / الحديث رقم (5901)، ج5، ص2308.

[2] صحيح البخاري / الحديث رقم (6450)، ج6، 2509.

[3] سورة ال عمران، الاية 109.

إذن فالأرضُ كلٌّ واحدٌ لا يتجزَّأُ ضمن أطرٍ جغرافية وأجزاء مستقلة تفصل بينها حدود مصطنعة، والاهم من ذلك أنَّ القانون الذي يحكم هذه الأرض هو قانون واحد أيضاً وليس مجموعة كبيرة من القوانين المختلفة والمتباينة هنا وهناك، فالحكم لله مثلما ان الأرض لله أيضاً.

« إنَّ وجود هذا الدين هو وجود حاكمية الله، فإذا انتفى هذا الأصل انتفى وجود هذا الدين، وإن مشكلة هذا الدين في الأرض اليوم، لهي قيام الطواغيت التي تعتدي على ألوهية الله، وتغتصب سلطانه، وتجعل لأنفسها حق التشريع بالإباحة والمنع في الأنفس والأموال والأولاد . . وهي هي المشكلة التي كان يواجهها القرآن الكريم بهذا الحشد من المؤثرات والمقررات والبيانات، ويربطها بقضية الألوهية والعبودية، ويجعلها مناط الإيمان أو الكفر، وميزان الجاهلية أو الإسلام.

إن المعركة الحقيقية التي خاضها الإسلام ليقرر « وجوده » لم تكن هي المعركة مع الإلحاد، حتى يكون مجرد « التدين » هو ما يسعى إليه المتحمسون لهذا الدين! ولم تكن هي المعركة مع الفساد الاجتماعي أو الفساد الأخلاقي - فهذه معارك تالية لمعركة « وجود » هذا الدين!، لقد كانت المعركة الأولى التي خاضها الإسلام ليقرر « وجوده » هي معركة « الحاكمية » وتقرير لمن تكون، لذلك خاضها وهو في مكة، خاضها وهو ينشئ العقيدة، ولا يتعرض للنظام والشريعة، خاضها ليثبت في الضمير أن الحاكمية لله وحده؛ لا يدعيها لنفسه مسلم؛ ولا يقر مدعيها على دعواه مسلم، فلما أن رسخت هذه العقيدة في نفوس العصبة المسلمة في مكة، يسر الله لهم مزاولتها الواقعية في المدينة، فلينظر المتحمسون لهذا الدين ما هم فيه وما يجب أن يكون، بعد أن يدركوا المفهوم الحقيقي لهذا الدين! »([1])

لقد كان همّ الإسلام الأول هو إقرار الدين بكليَّاته، وإسناد الأمر إلى الخالق، والخروج من منظومة حياتية رسَّخها العرف ووضع أسسها العباد إلى منظومة وضعها الخالق لعباده، وهو على ذلك – أي الخالق- أدرى بشؤون خلقه من مخلوق لا يعرف كيفية خلقه، ولا كنه خلقه، ولا علة خلقه.

[1] في ظلال القرآن / ج3، ص155.

هذا الأمر يفسِّر طبيعة السور المكية، والفروق ما بينها وبين السور المدنية، فالمكية منها كانت مهمومة بترسيخ دعائم الدين وصفات الإلوهية وتنقية الوحدانية من الشرك ومن الشوائب ومن اللمم، بينما انبرت السور المدنية لتنظيم الحياة، وتشريع الأحكام، وتنظيم العلاقات، وحد الحدود، والدخول في تفاصيل المحرمات، ولا يمكن الفصل ما بين شريعة الله وعقيدته، فشريعة الدين كعقيدته « في تقرير صفة الشرك أو صفة الإسلام، بل إن شريعته من عقيدته في هذه الدلالة، بل إن شريعته هي عقيدته، إذ هي الترجمة الواقعية لها، كما تتجلى هذه الحقيقة الأساسية من خلال النصوص القرآنية، وعرضها في المنهج القرآني، وهذه هي الحقيقة التي زُحزح مفهوم « الدين » في نفوس أهل هذا الدين عنها زحزحة مطردة خلال قرون طويلة، بشتى الأساليب الجهنمية الخبيثة، حتى انتهى الأمر بأكثر المتحمسين لهذا الدين - ودعك من أعدائه والمستهترين الذين لا يحفلونه - أن تصبح قضية الحاكمية في نفوسهم قضية منفصلة عن قضية العقيدة ! لا تجيش لها نفوسهم كما تجيش للعقيدة ! ولا يعدون المروق منها مروقاً من الدين، كالذي يمرق من عقيدة أو عبادة ! وهذا الدين لا يعرف الفصل بين العقيدة والعبادة والشريعة »([1])

إنَّ التلازم حتمي ما بين الإيمان بالله بوصفه خالقًا، والإيمان به بوصفه حاكمًا، فلا يجوز أن نؤمن بالله ونخلص له الوحدانية، ثم نركن إلى غيره في شأن من شؤوننا، لهذا كان الإسلام دينا ودنيا، ليقرر من ثم حقيقة أن لا انفصام ما بين إيماننا باليوم الآخر، وركوننا إلى منظومة القيم والمعاملات الدنيوية التي أقرَّها الإسلام، وقد يقولُ قائل : إنَّ التطور الطبيعي للحياة به حاجة إلى ابتداعات تقنن العمل، وترسخ الدعائم المستحدثة الَّتي لم تكن معروفة في حياة النبي وفقهاء المذاهب، نقول : إنَّ القراءة العصرية للإسلام تبين أنه قادر بكلياته على معالجة جزئيات العصر، فإن لم تواكب هذه الكليَّات جزئيات العصر، فالعلَّة في قارئها وليس فيه، فكليات الإسلام تصلح لكل زمان ومكان لو قرأناها على وفق منظور عصري متطور، ولهذا كان الإيغال في آلية القراءة السلفية سببا لجمودها، وعدم طواعيتها في مواكبة العصر، ومثلما لا تقبل الوحدانية شائبة تشوبها فكذلك الحاكمية الإلهية لا تقبل شريكا لها في الحكم « فلا مجال

[1] المصدر نفسه / ج3، ص154.

فيها لأي انحراف أو لبس مما طرأ على الديانات السابقة - بعد الرسل - كعقيدة التثليث المبتدعة من المجامع الكنسية بعد عيسى - عليه السلام - ولا لأي غبش مما كان يرين على العقائد الوثنية التي تميل إلى التوحيد، ولكنها تلبسه بالأساطير، كعقيدة قدماء المصريين - في وقت من الأوقات - بوحدانية الله، ثم تلبيس هذه الوحدانية بتمثل الإله في قرص الشمس! ووجود آلهة صغيرة خاضعة له، هذه الوحدانية الحاسمة الناصعة هي القاعدة التي يقوم عليها التصور الإسلامي؛ والتي ينبثق منها منهج الإسلام للحياة كلها، فعن هذا التصور ينشأ الاتجاه إلى الله وحده بالعبودية والعبادة، فلا يكون إنسان عبداً إلا لله، ولا يتجه بالعبادة إلا لله، ولا يلتزم بطاعة إلا طاعة الله، وما يأمره الله به من الطاعات . وعن هذا التصور تنشأ قاعدة : الحاكمية لله وحده، فيكون الله وحده هو المشرع للعباد، ويجيء تشريع البشر مستمداً من شريعة الله »( [1])

اعتدنا في السنوات العشر الأخيرة على خطابٍ جديدٍ بشأن السيادة وتقرير المصير، فأدبيات العولمة السياسية بعد انتهاء الحرب الباردة، بدأت تروج مفاهيم جديدة لحقوق السيادة على الدول تتسم بالتباين عما كانت عليه هذه الحقوق، فلم تعد السيادة أمراً مقدساً، لا يجوزُ تجاوزه أو المساس به، بل ان التدخل الدولي أصبح أمراً مقبولاً ومساغاً تحت متطلبات مختلفة، منها انتهاك حقوق الإنسان، أو الاعتداء العسكري على الدول الأخرى، أو المساس بالأمن والسلم العالميين، وبذلك فان الحدود الجغرافية والسياسية لم تعد عائقاً أمام التدخلات من أية جهة كانت وتحت أي ذريعة .

إن العولمة الأمنية هذه سلاح ذو حدّين، فمن جهة يمكن عدُّها تطوراً نحو الجماعية الإنسانية، ونحو إقامةِ نظام دولي يتسم بالتكافل وتكامل الجهود، ومن جهة أخرى فإن خطورة هذه النزعة تكمن بالدرجة الأساس في ان المرجعية التي تُشرّع لما يسمى بالأمن الجماعي هي مرجعية لا تتَّسم بالمصداقية ولا تستند إلى شرعة دولية كما تحاول ان توحي به .

أن القوانين والمعاهدات الدولية الخاصة بالحرب كمعاهدة لاهاي ومعاهدات جنيف، لطالما تم التحايل عليها والتوسع في تفسيراتها بما يسوغ استثمارها من الدول الكبرى « فهي وإن سُنَّت لتدعم الواجبات الإنسانية تجاه

[1] في ظلال القران / ج1، ص264 .

الضرورات العسكرية، استعملت لتُجيز العُنف خلال حرب الخليج مثلا بدلاً من تقييده، فيما لو عرضنا بالدراسة السجل التاريخي للقوانين التي تحكم وسائل الحرب وطرقها سنخلص الى نتيجة مفادها : أن الدول القوية سنّت قوانين الحرب عن عمد لإعطاء العنف العسكري أولوية على الاهتمامات الإنسانية على الرغم من الخطاب النبيل الذي يشير الى خلاف ذلك' وسنستنتج كيف أن مؤتمرات لاهاي التي شفعت تشريعات القرن التاسع عشر واعتبرت محطات إنسانية لإخضاع الحرب لسلطة القانون، تضمنت في الحقيقة ترسيخاً لأولوية الاعتبارات العسكرية على الاعتبارات الإنسانية، وسيتأكد لدينا أيضاً ان الدول المتحاربة في الحربين العالميتين استعملت قوانين لاهاي المنظّمة للمعارك وسيلة بليغة لتسوّغ هجمات الرعب ضد المدنيين، وان تحالف القضاة فشل في إدانة الهجمات في مُحاكمات نورمبارغ (Nuremberg)، وسنخلص الى ان قوانين الحرب استعملت لتشريع العُنف العسكري ضد المدنيين بدلاً من تقييده »([1])

إنَّ ما يحصل فعلاً اليوم هو أنَّ الولايات المتحدة الأمريكية تنصّب نفسها شرطياً على العالم وتعتبر ان فرض إرادتها ضرورة قصوى، فلا تجد ضيراً في فرض وصايتها على عالمٍ تعتبره قاصراً عن تسيير شؤونه وإدارة دفّةِ مواطنيه، بينما تمثل عولمة الوطن الإسلامية إفرازاً لمرجعية مقدسة يمثلها الله وتعبّر عنها الرسالة الإسلامية بصدق، فالمواثيق الدولية التي تسهم أمريكا بالقسط الأوفر في صياغتها تقابلها شرعة الإسلام التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، والتباين أجلى من ان نحتاج معه إلى عقد المقارنة بين المرجعيتين، إنَّ التدخلات الدولية أو سياسة الأمن الجماعي التي كيفتها أمريكا لمصلحتها وأفرغتها من محتوياتها الإنسانية لتحيلها إلى مجرد مسوّغات للدفاع عن المصالح الوطنية الأمريكية المحض، لا يمكن ان تصمد أمام شرعية الحكم الإسلامي الذي سنّه الله ونظّم به أحوال الناس والكيفية التي تُدار بها شؤونهم .

إنَّ جُلَّ المشاكل التي تعاني منها الشعوب لا يمكنُ أن تكون بمعزل عن سياسات الدول الكبرى وتدخلاتها، ولا يمكنُ ان نبرِّئ ساحة الدول الكبرى مما يجري في مختلف بقاع الأرض، ومن ثمَّ فإنَّ الحاجة للتدخل الدولي ستنتفي

---

[1] تشريع العنف (تحليل نقدي لحرب الخليج ) / روجر نورماند وكريس اف جوشنيك / ترجمة : د.خالد ناجي السامرائي وعثمان الجبالي المثلوثي / ص5- 8.

فيما لو امتنعت الدول الغربية عن استغلال الشعوب والتدخل في شؤونها الداخلية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنَّ العلاقات الشاذة التي لا تستند إلى عدالة السماء هي سببٌ أساسٌ آخر في كل ما تعانيه الشعوب من ظلم وقهر وعبودية، فاضطهاد الإنسان ما كان ليحصلَ لو كان الإسلام هو قانون الحياة ومحركها الأول، ولما كانت العلاقات الدولية بين الدول تتسم بهذه الكراهة والحساسية التي غالباً ما تنشأ عنها الصراعات المسلحة وغير المسلحة، ولو اتبعنا النظام الاجتماعي والاقتصادي الذي أرسى القرآن دعائمه لما نشأت هذه الفوارق الشاسعة في مستويات دخل الفرد بين دول الشمال ودول الجنوب ولما نشأت مشكلة المديونية التي تعاني منها معظم الدول النامية اليوم، فما هي أسباب مديونية الدول النامية ؟

لقد كان للدول الكبرى الدور الأكبر والأكثر تأثيرا في تفاقم مشكلة المديونية التي تعاني منها دول العالم الثالث، من خلال السياسات الاقتصادية الآتية :

١ـــ ارتفاع أسعار واردات دول العالم الثالث، وبخاصة أسعار السلع الرأسمالية، والتي تعتبر أساساً لانطلاق عملية التنمية، هذا الارتفاع صوحب بانخفاض في أسعار صادرات هذه الدول، أو على الأقل بقاءها على ما هي عليه مما جعل الحاجة ماسة لتمويل الفرق بالاقتراض الخارجي .

٢- سياسات التوسع في الإقراض من قبل البنوك الغربية، حيث وجدت هذه البنوك نفسها تحتفظ بفوائض عالية وذلك بفضل الفوائض المسماة بـ"الدولابترولية" هذه الفوائض جعلت الحاجة ماسة للبحث عن أسواق مربحة لتصريفها، وكان سوق العالم الثالث هو الأكثر ترشيحاً لاستقطاب هذه الفوائض، وهذا الإقراض يتم غالباً على أساس أسعار فائدة (تتغير حسب سعر السوق) وتحت شروط قاسية .

٣- الارتفاع المذهل لأسعار الفائدة بالإضافة إلى ارتفاع سعر صرف الدولار (عملة تقويم الديون) مقابل عملات كثير من الدول المدينة مما زاد في قيمة الديون الفعلية .

٤- الكساد الذي عم الدول الصناعية ....ما أدى الى :

أ- انخفاض طلب الدول الصناعية على منتجات تلك الدول ب- هذا الانخفاض في الطلب أدى إلى انخفاض في أسعار تلك المنتجات ج- لجوء الدول الصناعية إلى سياسات الحماية كفرض التعاريف الجمركية، مما أدى إلى صعوبة دخول منتجات دول العالم الثالث إلى أسواق هذه الدول .

هذه العوامل أسهمت بتفاقم أزمة المديونية، التي باتت تهدد استقرار الاقتصاد العالمي

........ بدأ صندوق النقد الدولي بمهمة اقراض الدول النامية لا بغرض تصحيح الاختلال الطارئ على الموازين التجارية للدول الأعضاء، وإنما لمعالجة الاختلالات الهيكلية في اقتصادياتها . بذلك بدأ الصندوق يمارس دوراً أكبر بدخوله شريكاً مع الدول المقترضة في تقرير السياسات الاقتصادية، والتي يجب على الأخيرة الأخذ بها، هذه السياسة غالباً ما يطلق عليها سياسة : "التقشف" أو السياسات المشروطة ولم يأت هذا الدور طبيعياً ومن دون معارضة، وإنما أتى مفروضاً من قبل الدول المتقدمة، وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية، والتي ارتأت أن إقراض الدول الغربية أو بنوكها لدول العالم الثالث لا يعطي للدول الدائنة الحق في إملاء شروطها على الحكومات المدينة، ولو فرض أن هذه الأخيرة قبلت هذه الشروط فإن شعوبها من الممكن أن لا ترضى بوصاية دولة أجنبية في تقرير سياسة داخلية . لذا كان الصندوق من أفضل من يقوم بهذا الدور دون إثارة الحساسية الوطنية، فأصبح الصندوق بذلك ملجأ للدول الباحثة عن قروض .

لكن هذه القروض غالباً ما تكون مصحوبة بإملاء السياسات الاقتصادية التي يجب على الدولة المستفيدة الأخذ بها، ومن هذه السياسات :

١ - رفع القيود المفروضة على أسواق السلع والعملات، والعمل على جعل هذه الأسواق حرة كما تفترض النظرية الاقتصادية

٢ - تخفيض سعر صرف العملة المحلية مقابل العملات الأجنبية .

٣- تخفيض القيمة الفعلية للأجور .

....... نجمت عن تطبيق مثل هذه السياسات سلبيات كبيرة من أهمها :

١ - استنزاف موارد الدول النامية من خلال إيقاعها في شرك المديونية .

٢- تكريس التبعية لدول الغرب بأن أصبح كثير من دول العالم الثالث يدور في فلكها وتحت رحمة بنوكها .

....... هذه السياسات أسهمت وتسهم في تأزيم المناخ السياسي في دول العالم الثالث، مما يجعل الدول الرأسمالية - في النهاية - هي المستفيدة الوحيدة، فاضطراب المناخ السياسي يجعل رؤوس الأموال في دول العالم الثالث تهاجر إلى حيث الاستقرار المزعوم في الدول الرأسمالية، هذه الأموال المهربة والمسروقة من أفواه الجوعى والمستنزفة من موارد هذه الدول تساهم في تكريس تبعية دول العالم الثالث للغرب الرأسمالى........)( [1]).

خلاصة القول فان ما بُني على باطلٍ، فهو باطل والنار أولى به، فالازورار عن المرجعية الإلهية إلى مرجعية دنيوية وضعيةٍ هي التي خلّفت كل ما يعانيه البشر اليوم، أما توحيد هذه المرجعية وإخضاعها لمنطق المستبد القوي الذي تمثله أمريكا فهو أنكى وأشد خطورة، إذ أنَّ ذلك يعني الانجرار خلف طروحات أحادية دنيوية يُراد منها أن تكون بديلاً عن طروحات أحادية إلهية وهذا هو الشرك السياسي الذي تسوقنا أمريكا لاعتناقه .

الشهادة الشعرية:

كعادته مع العرب، لم يخيب الشعر ظنهم به، وظل وفيا لهم ولتراثهم، مستمدا من مقولة (الشعر ديوان العرب) وقودا ودافعا، فقد دوّن كل ما من شأنه القاء الضوء على مشاعر حبهم لأوطانهم ولمرابع صباهم، مثلما صور بأبلغ الصور حنينهم وترجم عبراتهم ونقل ما يجيش في نفوسهم ويعتمل في خواطرهم من الأسى والحزن والحنين .

شهد الشعر على مفاهيم العربي الجاهلي للوطن والمواطنة يوم كانت القبيلة هي الوطن، والأنتماء اليها والمنافحة عنها هما المواطنة، مثلما شهد على هذه المفاهيم يوم تحولت دلالاتها في بضع سنين بفعل الأسلام وبدفع من تعاليمه ومن تدابير الرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم) الى أسس للمواطنة في دولة المدينة تدين بالولاء الى الأسلام الذي وحد الأقوام على اختلاف مشاربها وقبائلها وأعراقها في بوتقته وجعل التقوى معيارا للمفاضلة، والمعاملة الفاضلة منهاجا وسلوكا مقيدا بالنص القراني وبسنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

[1] يُنظر: صندوق النقد الدولي ومديونية العالم الثالث / حمد سليمان البازعي / مجلة البيان / العدد 24، ص44.

لم يترك الشعر في شهادته نهجا ولا نزعة في التعاطي مع الوطن الا وأحصاها، فالحنين الى الأوطان كان حاضرا مثلما كانت الدعوة الى التمسك بالأرض حاضرة هي الأخرى، ولم ينس الشعراء التطرق الى الهجرة من الأوطان والأسباب الموجبة لذلك، وكذلك البعد الأختياري عن الوطن حينما يكون المكوث فيه مدعاة الى الأذلال والأسى، فكانت الشكوى من ظلم ذوي القربى وتحاسدهم وتباغضهم وارجافهم غرضا لافتا في مسيرة الشعر على مرّ عصوره، وكذلك أرسى الشعراء غرضا شعريا مستقلا للرثاء، حينما بكوا مدنهم التي كانت ظلالها وارفة وعمارتها شامخة في الأمس القريب فأضحت وقد نعق الغراب على خرائبها، فتأسس بذلك غرض (رثاء المدن) .

مثلما مرّ، فان الأغراض التي تناولها الشعراء في الوطن والمواطنة متعددة ومتنوعة، منها:

<u>الحنين الى الأوطان:</u>

بالعودة الى الحقب التاريخية العربية القديمة نجد ان مفهوم الوطن عند عرب الجاهلية هو الحمى، حيث مراتع الطفولة والحبيبة، وحيث الأرتباط بالأرض ارتباطا مصيريا، اذ لا حياة بعيدا عن الديار.

فقد ظل الحنين ملازما للشاعر العربي كلما غاب عن أهله ومراتع صباه، وقد سجل الشعر العربي قديمه وحديثه ذلك، يوم كانت حياة العرب تدور حول الرحلة بحثا عن الكلأ أو الغنيمة حتى جاء الأسلام فأخرجهم من جزيرتهم للجهاد في سبيل الله .

لقد كانت غيبتهم الطويلة في الفتوح بعيدا عن ديارهم ثم استقرار الكثير منهم في الأرض الجديدة مدعاة للحنين الى الديار والشكوى من مرارة الغربة وهم بذلك "إنما يعبرون عن روح عربية أصيلة، وهل حياة العرب كلها إلا حنين و ذكرى، وهل هم منذ كانوا إلا رحل. رحلوا في باديتهم أثناء العصر الجاهلي من عشب إلى عشب، ورحلوا في مشارق الأرض ومغاربها في أثناء العصور الإسلامية من بلد إلى بلد. ودائما في حقائبهم ذكرى ملاعبهم الأولى، ومدارج شبابهم، وما

بكاء الأطلال والديار إلا الصورة الثانية لهذا الحنين الذي نما معهم على مر الزمن واختلاف المنازل والأمكنة"( [1]).

لم يكن العربي يرى ان لا حياة له بعيدا عن ديار القبيلة فحسب بل كان يرى الموت بعيدا عن الديار يعد هو الاخر موتا قاسيا، لان الغربة في مثل هذه الحالة غربتان، غربة المحيا وغربة الممات، وليس أدلّ على ذلك من قصيدة مالك بن الريب التَّميمي التي كتبها يرثي بها نفسه ويشكو غربته بعيدا عن أهله ومحبيه، بل يفرد في الصحراء غريبا وحيدا لا بواكي له، يقول مالك في قصيدته تلك:

يَقُولُونَ لا تَبْعُدْ وَهُمْ يَدْفِنُونَنِي          وَأَيْنَ مَكَانُ البُعْدِ إلاَّ مَكَانِيَا
غَدَاةَ غَدٍ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدٍ          إِذَا أَدْلَجُوا عَنِّي وَخَلَّفْتُ ثَاوِيَا
وَأَصْبَحَ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ          لِغَيْرِي، وَكَانَ الْمَالُ بِالأَمْسِ مَالِيَا( [2])

وقد ترك لنا فحل شعراء العربية وحامل لواء الشعراء امرؤ القيس خالدته التي كانت من أواخر ما جادت به قريحته وهو يقترب من الموت في أرض الروم بعيدا عن قومه التي عشق والديار التي ملكت عليه فؤاده، انه يحن الى ديار سليمى بعد أن نأت وبعدت :

بكى صاحبي لمّا رأى الدربَ دونَهُ          وأيقنَ أنَّا لاحقان بقيصرا
فقلتُ لهُ لا تبكِ عينكَ إنَّما          نحاولُ مُلكاً أوْ نموتُ فنُعذرا( [3])

لقد ظل الشاعر مرتبطا بدياره متشبثا بأهله، حتى اذا ساقته الظروف للخروج منها والأنتقال الى غيرها، وأحوجته الحياة الى غير أهله وعشيره، ظل كاسف البال حزينا يحن الى دياره ويطلب اللجوء الى من أحبهم وشعر بالاعزاز بين ظهرانيهم كالمتنبي الذي فارق بطله سيف الدولة وابتعد عن بلاطه مجبرا، وعاش في كنف لئيم لا يعرف قدره هو كافور الأخشيدي، وهاهي شاعريته تخرج من حشاشة قرحى تفيض صدقا ورهافة حين يعاني الحمّى في بلاد غريبة عنه

[1] دراسات في الشعر العربي المعاصر / د.شوقي ضيف / ص: 166.

[2] ديوان مالك بن الريب (شعراء أمويون) / تح: نوري حمودي القيسي / ج 1، ص:46.
وديوان مالك بن الريب (أشعار اللصوص) / تح: عبد المعين الملوحي / ج1، ص:322.

[3] ديوان امرئ القيس وملحقاته / تح: د. أنور عليان أبوسويلم ود. محمد علي الشوابكة / ج2، ص:425.

**فيخاطبها:**

أَبِنْتَ الدَّهْرِ عِنْدِي كُلُّ بِنْتٍ فَكَيْفَ وَصَلْتِ أَنْتِ مِنَ الزِّحَامِ
جَرَحْتِ مُجَرَّحًا لَمْ يَبْقَ فِيه مَكَانٌ لِلسُّيُوفِ وَلا السِّهَامِ([1])

وفي أبياته التي هَجا فيها كافورًا الإخشيديَّ يبدأ القصيدة بذِكْرِ غُربته وبُعده عن أحبَّتِه - في دولة الحمدانيِّين - ويمرُّ العيد عليه وهو كاسِفُ البال حزين:

عِيدٌ، بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتَ يَا عِيدُ بِمَا مَضَى؟ أَمْ لِأَمْرٍ فِيكَ تَجْدِيدُ؟
أَمَّا الأَحِبَّةُ فَالْبَيْدَاءُ دُونَهُمُ فَلَيْتَ دُونَكَ بِيدًا دُونَهَا بِيدُ([2])

**العاذلة:**

وهو نسق من الصياغة الشعرية يستحضر فيه الشاعر صوتاً اخر غير صوته المباشر او يجرد من نفسه نفساً اخرى يحاورها على سبيل التقليد الفني المتوارث الذي لا يعرف جذره مثلما وقف الشعراء على الطلل وبكوا الضعن وكلموا الحجارة والاثافي كل ذلك على سبيل التقليد الفني.

ان العذل الذي يجابه الشاعر يصدر دوما عن امرأه، ذلك لان اللوم والملاحاة والعذل اقرب الى نفوس النساء منه الى نفوس الرجال .

والعذل يدور حول مواقف من بعض القضايا الاجتماعية مثل الافراط في تشراب الخمور، والاسراف في الكرم، وركوب الاهوال، والشيب، والسفر، ومفارقة الديار والأحبة، وغيرها .

يصف عروة بن الورد عذل صاحبته ولومها له على ترحاله وقذف نفسه في المهالك:

أرى أم حسـان الغداة تلومنـي تخوفنـي الأعداء والنفس أخـوف
تقول سليـمى لو أقمت لسرنـا ولم تـدرِ أني للمُقـامِ أُطـوّفُ

فالموت حاضر دوما في مخيلة الشعراء فهو قدر محتوم ونهاية لابد منها وقد يغشى الانسان في اي مكان ومن غير موعد ، اذ قد يسلم من يرمي بنفسه في معمعان الحرب وقد يموت من يرقد في اهله مؤثراً السلامة، يقول :

لـعلّ الـذي خوّفتِنا مـن أمامِنـا يصادفُـه، في أهلِـهِ، المتخلّفُ [3]

[1] شرح ديوان المتنبي / عبد الرحمن البرقوقي / ص: 1162.
[2] المصدر نفسه /ص: 427ـــ428.
[3] ديوان عروة بن الورد العبسيّ / تحقيق: د.محمد فؤاد نعناع / ص: 50 .

وعروة كثير الطلب من عاذلته ان تقصر عن عذله وتدعه يطوف في البلاد ليصيب الغنى ليستعين به على سد رمق الفقراء الصعاليك يقول :

دعيني أُطوّفْ في البلادِ، لعلّني أُفيدُ غِنًى، فيه لذي الحقّ محملُ
أليس عظيماً أن تلم ملمة وليس علينا في الحقوق معول
فأن نحن لم نملك دفاعا بحادث تلم به الايام فالموت اجمل [1]

وهكذا كانت العاذلة أما أو اختا أو حليلة أو بنتا أو عشيقة تقف حائلة بين الشاعر ورغبته بالترحال بعيدا عن وطنه طلبا للرزق أو سعيا الى المجد كقول أحدهم وتنسب الى اسحق بن خلف المعروف بابن الطبيب:

لولا أُميمةُ لم أجْزع من العدمِ ولم أُقاسِ الدُّجَى في حِندس الظّلَمِ
وزادني رغبةً في العيش معرفتي ذلَّ اليتيمة يجْفوها ذوو الرَّحمِ
أحاذرُ الفقر يوماً أن يُلمّ بها فيكشفَ السترَ عن لحم علَى وضمِ
تهوى حياتي وأهوَى موتها شغفاً والموتُ أكرمُ نزَّالٍ علَى الحُرَمِ [2]

وقال نهيك بن أُساف وهو يحاول تسكين عبرات أمه المشفقة عليه من السفر وأهواله:

أَمّ نهيكٍ ارفعي الظنَّ صاعداً ولا تيأسي أنْ يُثريَ اليومَ بائسُ
سيكفيك سيري في البلادِ وبُغيتي وبعلُ الّتي لم يحظ في البيتِ جالسُ
سأكسبُ ملاً أوْ تبيتنَّ ليلةً لصدرك من وجدٍ عليَّ وساوسُ
ومَن يكسبِ المالَ المُمنَّعَ بالقنا يعشْ مثرياً أوْ يُودَ فيما يُمارسُ [3]

وهذا أبو نواس يطمئن زوجته ويحاول تصبيرها على فراقه ويرى أن لا جدوى من المكوث عندها، بل الأجدى ان يرحل الى بلاد يعز فيها، يقول:

تقول الّتي من بيتها خفَّ مركبي يعزّ علينا أن نراكَ تَسيرُ
أما دون مصرٍ للفتَى متطلّبٌ بلَى إن أسباب الغِنَى لكثيرُ
فقلتُ لها واستعجلتْها بوادرٌ جرتْ فجرى في جَريهن عَبيرُ

---

[1] المصدر نفسه / ص: 128 .

[2] الزهرة / ابن داود الأصبهاني / تح: د. إبراهيم السامرائي وشاركه في الجزء الثاني د. نوري حمود القيسي / ج2، ص:661.

[3] الزهرة / ص: 661 ـــ 662.

ذريني أكثر حاسديك برحلةٍ إلى بلدٍ فيه الخصيبُ أميرُ( [1])

فوائد السفر:

على ان الحنين الى الأوطان ولوم اللائمات لم يمنعا الشعراء من حب الترحال والسعي في أرض الله بحثا عن الرزق وفتحا لافاق جديدة للحياة، وقد أكثروا من مدح السفر والنزوح عن الأوطان وذكروا فوائد ذلك، لكن امرأ القيس لم يخرج الا بحثا عن ملك أبيه الضائع، ولهذا فهو يرى ان خروجه أكرم من خروج الأخرين، فهم يبحثون عن المال وهو يبحث عن الملك، يقول:

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشةٍ كفاني ولم أطلب قليلاً من المالِ
ولكنما أسعى لمجدٍ مؤثَّلٍ وقد يُدرك المجدَ المؤثل أمثالي
وما المرءُ ما دامت حُشاشة نفسهِ بمُدرك أطراف الخطوب ولا آلِ( [2])

لكن على كثرة ما وصف الشعراء السفر والأغتراب وما يتعلق بهما لم يبلغوا الشأو الذي وصله الشافعي ولا الروعة التي وسمت شعره في السفر فقد بلغ الغاية القصوى في وصف فوائده وفصل في ذلك مالم يفعله غيره من الشعراء :

تغَرّب عن الأوطانِ في طَلَبِ العُلى .......... وَسافِر فَفي الأسفارِ خَمسُ فَوائِدِ
تفريجُ همٍّ واكتسابُ معيشةٍ .......... وعلمٌ واداب وصحبةُ ماجدِ
فإن قيل في الاسفار ذلٌّ وغربةٌ ..........وقطع فيافٍ وارتكاب الشدائدِ
فموتُ الفتى خيرٌ لهُ من حياتِهِ ........ بدارِ هوانٍ بينَ واشٍ وحاسدِ( [3])

عدم الصبر على الهوان:

عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه "قالوا: يا رسول الله وكيف يذل نفسه؟ قال: "يتعرض من البلاء لما لا يطيق"( [4]) .

وكعادة العرب فقد دونوا في شعرهم مثل هذه المعاني مثل قول أوس بن حجر:

أقيم بدار الحزم ما دام حزمها .......... وأحر إذا حالت بأن أتحوَّلا( [5])

---

[1] ديوان أبي نواس / تح: د. بهجت عبد الغفور الحديثي / ص:286.

[2] ديوان امرئ القيس وملحقاته / تح: د. أنور عليان أبوسويلم ود. محمد علي الشوابكة / ج1، ص:360ـ 361

[3] ديوان الشافعي / تح: د.مجاهد مصطفى بهجت / ص:11.

[4] حديث حسن غريب رواه الترمذي في سننه / (أبواب الفتن)، ص: 105 .

[5] ديوان أوس بن حجر / تح د. محمد يوسف نجم / ص:83.

ورأى المتلمس الضبعي ان الهوان لا يليق الا بحمار البيت وما شابهه من أراذل المخلوقات:

إنَّ الهوان حمار البيت يألفه والحرُّ ينكره والفيل والأسد
ولا يقيم بدار الذُّلِّ يألفها إلاَّ الذَّليلان عير الحيِّ والوتد
هذا على الخسف مربوطٌ برمَّته وذا يشجُّ فما يأوي له أحد ([1])

وقال مالك بن الرَّيب وهو يرى ان المقام في بلاد يأنس فيها الفتى وهي غريبة عنه أولى من بلاد تدعى بلاده ثم لا تحفظ كرامته :

فإن تنصفونا آل مروان نقترب إليكم وإلاَّ فأذنوا ببعاد
ففي الأرض عن دار المذلَّة مذهبٌ وكلُّ بلادٍ أوطنت كبلادي([2])

وقال قيس بن الخطيم واصفا بعض الديار بالبلاء:

ومابعض الإقامة في ديارٍ يكون بها الفتى إلاَّ عناء
ولم أر كامريء يدنو لخسف له في الأرض سير وانتواء([3])

وقال المغيرة بن حبناء يحثّ على الهجرة من دار البلاء، ويرى ان في الأرض متسعا لمن رام التحول:

ومثلي اذا ما الدار يوما نبت به تحول عنها واستمرت مرائره
ولا أنزل الدار المقيم بها الأذى ولا أرأم الشيء الذي أنا قادره
اذا انت لم ترغب بدار نزلتها فبعها بدار أو بجار تجاوره([4])

وقال أيضا:

وفي الدّهر والأيَّام للمرء عبرةٌ وفي الأرض عن دار الأذى مترحرح([5])

وقال معن بن أوس مثل قوله:

وفي النَّاس إن رثَّت حبالك واصلٌ وفي الأرض عن دار القلى متحوَّل([6])

---

[1] ديوان شعر المتلمس الضبعي / تح: حسن كامل الصيرفي / ص:203ـــ211.
[2] ديوان مالك بن الريب (شعراء أمويون) / تح: نوري حمودي القيسي / ج 1، ص:51.
وديوان مالك بن الريب (أشعار اللصوص) / تح: عبد المعين الملوحي / ج1، ص: 302ـ303.
[3] ديوان قيس بن الخطيم / تحقيق: د.ناصر الدين الأسد/ ص: 153 .
[4] ديوان المغيرة بن حبناء التميمي / دراسة وتحقيق: د.نوري حمودي القيسي / ج3، ص: 90 .
[5] المصدر نفسه / ص: 83 .
[6] ديوان معن بن أوس المزني / تحقيق: حاتم صالح الضامن / ص: 73 .

ولكن عبد الصمد بن المعذل ينفتح الى رحاب أوسع، ليصل الى معناه بفلسفة اسلامية خالصة:

إذا وطنٌ رابني فكلُّ بلادٍ وطن( [1] )

لكن أبا تمام عمد ــ كعادته في شعره ــ الى التمثيل البلاغي ليوصل معناه بعمق وتأثير، يقول:

وطول مقام المرء في الحيِّ مخلقٌ لديباجتيه فاغترب تتجدَّد
فإني رأيت الشَّمس زيدت محبَّةً إلى النَّاس إذ ليست عليهم بسرمد( [2] )

وقال ابن المعتز:

رأيت حياة المرء ترخص قدره فإن مات أغلته المنايا الطَّوائح
كما يخلق الثوب الجديد ابتذاله كذا تخلق المرء العيون اللَّوامح( [3] )

وقال أبو الفتح البستي:

لقد هنت في طول المقام ومن يقم طويلا، يهن من بعد ما كان مكرما
فطول جمام الماء في مستقرِّه يغيِّره لوناً وريحاً ومطعما( [4] )

وقال بشار بن برد:

وكنت إذا ضاقت عليّ محلةٌ تيمَّمت أخرى ما عليّ تضيق( [5] )

**رثاء المدن:**

لقد ظل الشاعر هائما بحب الديار لاهجا بذكرها حتى اذا ما نعق غراب البين فيها بكاها أشد ما يكون البكاء وظل حسيرا ناعيا جمالها وحدائقها الغناء وقصورها وأزاهيرها، وقد عرف الشعر العربي غرضا جديدا هو ( رثاء المدن ) تزامن مع اضمحلال الدول وخراب الحواضر العربية التي كانت بالأمس القريب فتنة للناظرين وقبلة للسائحين والدارسين والباحثين عن الرزق، ومن ذلك أبيات شمس الدين الكوفي في بغداد بعد سقوطها بيد المغول وما فعلوه بها من تحريق

[1] ديوان عبد الصمد بن المعذّل / تحقيق: د.زهير غازي زاهد / ص: 180 .
[2] ديوان أبي تمام / تح: محمد عبده عزام / ج2 / ص:23.
[3] ديوان ابن المعتز/ د. يونس أحمد السامرائي / ج1، ص:80
[4] ديوان أبي الفتح البستي / تحقيق: شاكر العاشور / ص: 333.
[5] ديوان بشار بن برد / تح: محمد الطاهر بن عاشور / ج4، ص: 134.

وينظر: بهجة المجالس وأنس المجالس / ابن عبد البر / موقع الوراق http://www.alwarraq.com

وسفك للدماء وهدم للدور والمساجد وتدمير للمكتبات وهتك للاعراض، يقول:

مَا لِي وَلِلأَيَّامِ شَتَّتَ خَطْبُهَا شَمْلِي وَخَلاَّنِي بِلا خِلاَّنِي
مَا لِلمَنَازِلِ أَصْبَحَتْ لاَ أَهْلُهَا أَهْلِي وَلا جِيرَانُهَا جِيرَانِي
أَيْنَ الَّذِينَ عَهِدْتُهُمْ وَلِعِزِّهِمْ ذُلاً تَخِرُّ مَعَاقِدُ التِّيجَانِ
كَانُوا نُجُومَ مَنِ اقْتَدَى فَعَلَيْهِمُ يَبْكِي الْهُدَى وَشَعَائِرُ الإِيمَانِ

إلى أن يقول:

مَا زِلْتُ أَبْكِيهِمْ وَأَلْثِمُ وَحْشَةً لِجَمَالِهِمْ مُتَهَدِّمِ الأَرْكَانِ
حَتَّى رَثَى لِي كُلُّ مَنْ لاَ وَجْدُهُ وَجْدِي، وَلاَ أَشْجَانُهُ أَشْجَانِي( [1])

ومن ذلك قصيدة ابن الرومي في رثاء البصرة بعد ان خربها صاحب الزنج، يقول فيها:

ذاد عن مقلتي لذيذ المنام شغلها عنه بالدموع السجام
اي نوم من بعد ما حل بالبص رة من تلكم الهنات العظام
اي نوم من بعد ما انتهك الزن ج جهارا محارم الأسلام

ويظل يندب حال المسلمين حتى يقول أسفا على البصرة وما الت اليه من دمار وتخريب:

لهف نفسي عليك أيتها البص رة لهفا كمثل لهب الضرام( [2])

ومن ذلك قصيدة أبي البقاء الرّندي في نكبة الأندلس التي تفيض حكمة بقدر فيض الحزن ولأسى فيها:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ فَلاَ يُسَرَّ بِطِيبِ العَيْشِ إِنْسَانُ

وفيها يصف الأندلس وما دهاها ودهى الأسلام معها، فيقول:

دَهَى الْجَزِيرَةَ أَمْرٌ لاَ عَزَاءَ لَه هَوَى لَهُ أُحُدٌ وَانْهَدَّ ثَهْلاَنُ
أَصَابَهَا العَيْنُ فِي الإِسْلاَمِ فَارْتَزَأَتْ حَتَّى خَلَتْ مِنْهُ أَقْطَارٌ وَبُلْدَانُ
تَبْكِي الْحَنِيفِيَّةُ البَيْضَاءُ مِنْ أَسَفٍ كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الإِلْفِ هَيْمَانُ
عَلَى الدِّيَارِ مِنَ الإِسْلاَمِ خَالِيَةً قَدْ أَقْفَرَتْ وَلَهَا بِالكُفْرِ عُمْرَانُ
حَيْثُ الْمَسَاجِدُ قَدْ صَارَتْ كَنَائِسَ مَا فِيهِنَّ إِلاَّ نَوَاقِيسٌ وَصُلْبَانُ[3]

## قائمة المصادر والمراجع

[1] دوواوين كوفية (ديوان شمس الدين محمد الواعظ الكوفي)/ تحقيق: هلال بن ناجي / ص: 48
[2] ديوان ابن الرومي / تحقيق: د.حسين نصّار / ج6، ص:2377.
[3] ديوان أبي الطيب صالح بن شريف الرندي / تح: د. حياة شرارة / ص: 231 .

❖ القرآن الكريم.

1- الإدارة الإسلامية في عصر عمر بن الخطاب/ د. فاروق مجدلاوي / دار مجدلاوي ـــ عمان / (د.ت).

2- أسباب النزول / أبي الحسن علي الواحدي النيسابوري( ت 468هـ) / دار الباز للنشر والتوزيع ـــ مكة المكرمة / 1388 ه - 1968 م .

3- أنساب الأشراف للبلاذري / تحقيق: محمد حميد الله / دار المعارف – مصر/ (د.ت).

4- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل / مجير الدين الحنبلي العليمي / تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة / مكتبة دنديس ـــ عمان / 1420هـ - 1999م.

5- البداية والنهاية / أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي / تحقيق: علي شيري / دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت / 1408 ه 1988م.

6 ـــ بهجة المجالس وأنس المجالس / ابن عبد البر / موقع الوراق http://www.alwarraq.com

7ـــ تشريع العنف (تحليل نقدي لحرب الخليج ) / روجر نورماند وكريس اف جوشنيك / ترجمة: د.خالد ناجي السامرائي وعثمان الجبالي المثلوثي / دار الفراهيدي ـــ بغداد / ط1، 2011م.

8ـــ تفسير القرآن العظيم / أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (700 - 774 هـ) / تحقيق: سامي بن محمد سلامة / دار طيبة للنشر والتوزيع / ط2 ـــ 1420هـ - 1999 م.

9- تفسير النيسابوري / أبو عبد الله النيسابوري / مطبعة دار الفكر ـــ دمشق / 1994م.

10- الجامع الصحيح المختصر/ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي / تحقيق: د. مصطفى ديب البغا / دار ابن كثير – بيروت / ط3، 1407 – 1987م.

11- جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم / علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري / تحقيق: إحسان عباس / دار المعارف ـــ مصر/ ط1 ـــ 1900م.

12 ـــ دراسات فى الشعر العربي المعاصر/ د.شوقى ضيف / دار المعارف ـــ القاهرة / 1989.

13ـــ دواوين كوفية (ديوان شمس الدين محمد الواعظ الكوفي)/ تحقيق: هلال بن ناجي.

14ـــ ديوان ابن الرومي / صنعة: ابن السكيت واخرين / تحقيق: د.حسين نصّار / دار صادر ـــ بيروت / د.ط، د.ت.

15ـــ ديوان ابن المعتز/ أبو بكر الصولي / تح: د. يونس أحمد السامرائي / عالم الكتب ـــ بيروت / ط1، 1997.

16ـــ ديوان أبي الطيب صالح بن شريف الرندي / تح: د. حياة شرارة / مركز البابطين ـــ الكويت / ط1، 2010.

17ـــ ديوان أبي الفتح البستي / تحقيق: شاكر العاشور / دار الينابيع ـــ دمشق / ط2، 2008.

18ــــ ديوان أبي تمام / شرح: الخطيب التبريزي / تح: محمد عبده عزام / دار المعارف ــــ القاهرة / ط5

19 ــــ ديوان أبى نواس / شرح: الصولي، تح: د. بهجت عبد الغفور الحديثي / المجمع الثقافي ــــ أبوظبى / ط1، 2010.

20 ــــ ديوان الشافعي / تح: د. مجاهد مصطفى بهجت / دار القلم ــــ دمشق / ط2، 2003.

21 ــــ ديوان المغيرة بن حبناء التميمي / دراسة وتحقيق: د.نوري حمودي القيسي / مطبعة المجمع العلمي العراقي ــــ بغداد / 1982.

22ــــ ديوان امرئ القيس وملحقاته / شرح: أبي سعيد السكري (275 هـ)، تح: د. أنور عليان أبوسويلم ود. محمد على الشوابكة / مركز زايد للتراث والتاريخ ــــ العين / ط1، 2000.

23 ــــ ديوان أوس بن حجر / تح د. محمد يوسف نجم / دار صادر ــــ بيروت / ط3، 1979.

24 ــــ ديوان بشار بن برد / تح: محمد الطاهر بن عاشور / مصر / د.ط، د.ت.

25 ــــ ديوان شعر المتلمس الضبعي / تح: حسن كامل الصيرفي / معهد المخطوطات ــــ القاهرة / ط2، 1997.

26 ــــ ديوان عبد الصمد بن المعذّل / تحقيق: د.زهير غازي زاهد / دار صادر ــــ بيروت / ط1، 1998.

27 ــــ ديوان عروة بن الورد العبسيّ / صنعة: ابن السكيت، تحقيق: د.محمد فؤاد نعناع / مكتبة الخانجي ــــ القاهرة / ط1، 1995.

28 ــــ ديوان قيس بن الخطيم / تحقيق: د.ناصر الدين الأسد/ دار صادر ــــ بيروت.

29 ــــ ديوان مالك بن الريب (أشعار اللصوص) / تح: عبد المعين الملوحي / دار الحضارة الجديدة ــــ بيروت / ط2، 1993.

30 ــــ ديوان مالك بن الريب (شعراء أمويون) / تح: نوري حمودي القيسي / المجمع العلمي ــــ بغداد / 1976.

31 ــــ ديوان معن بن أوس المزني / تحقيق: حاتم صالح الضامن / دار صادر ــــ بيروت / ط1، 2012.

32- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام / أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي / تحقيق: عمر عبد السلام السلامي / دار إحياء التراث العربي ــــ بيروت / ط1، 1421هـ، 2000م.

33- رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين / الأمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي / دار الفكر المعاصر ــــ بيروت / ط2، 1991م.

34 ــــ الزهرة / ابن داود الأصبهانى / تح: د. إبراهيم السامرائى وشاركه في الجزء الثاني د. نوري حمود القيسي / مكتبة المنار ــــ الزرقاء ـ الأردن / ط 2، 1985.

35 ــــ سنن الترمذي / تحقيق: بشار عواد / دار الغرب الأسلامي ــــ تونس / ط1، 1996.

36- السنن الكبرى / أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي / مجلس دائرة المعارف النظامية ــــ حيدر آباد . الهند / ط1، 1344هـ.

37- السيرة النبوية / أبو الفداء إسماعيل بن كثير/ تحقيق: مصطفى عبد الواحد / دار المعرفة ـــ بيروت / 1971م، (د.ط).
38- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث / د. علي محمد الصلابي / دار المعرفة ـــ بيروت / 2009.
39 ـــ شرح ديوان المتنبي / عبد الرحمن البرقوقي / دار الفكر ـــ بيروت / ط1، 2002.
40- صفوة التفاسير/ محمد علي الصابوني / دار الصابوني.
41ـــ صندوق النقد الدولي ومديونية العالم الثالث / حمد سليمان البازعي / مجلة البيان / العدد 24.
42- عصر الخلافة الراشدة / أكرم ضياء العمري / مكتبة العبيكان ـــ الرياض / (د.ط).
43- العلاقة بين الرجل والمرأة في العهدين المحمدي والخليفي في مجتمع يثرب / خليل عبدالكريم / ط2 ـــ 1997م / (د. مط).
44- فقه السيرة للغزالي / دار القلم ـــ دمشق / ط4، 1409هـ- 1989م.
45- في ظلال القرآن / سيد قطب / دار الكتب العلمية ـــ بيروت /2007م، ط2.
46- القول المبين في سيرة سيد المرسلين / محمد الطيب النجار / دار الندوة الجديدة ـــ بيروت / (د.ت)، (د.ط).
47- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال / علي بن حسام الدين المتقي الهندي / مؤسسة الرسالة ـــ بيروت / 1989 م، (د.ط).
48- مجلة البيان، السنة الأولى، العدد 77، ذو الحجة 1406هـ - أغسطس 1986م.
49- مجموعة الوثائق السياسية / محمد حميد الله / دار النفائس ـــ بيروت / ط5، 1405هـ- 1985م.
50- مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم / عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي / دار الفيحاء ـــ دمشق و دار السلام ـــ الرياض / ط1، 1417هـ ـ 1997م.
51- مدارك التنزيل وحقائق التأويل / أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي / تحقيق: الشيخ مروان محمد الشعار / دار النفائس ـــ بيروت / ط1، 2005.
52- المصنف في الأحاديث والآثار/ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي / تحقيق: كمال يوسف الحوت / مكتبة الرشد – الرياض / ط1، 1409هـ.
53- من فقه الأقليات المسلمة (كتاب الأمة)، خالد محمد عبدالقادر، العدد : 61، السنة السابعة عشرة، رمضان 1418هـ - كانون الأول(ديسمبر)1997م، ط1.